هوامش

حقق فيلم «أسرار مقبرة سقارة» الذي تعرضه شبكه «نتفليكس» نسبة مشاهدات عالية داخل مصر. يتناول الفيلم سلسلة الاكتشافات التي حققتها بعثة مصرية في منطقة سقارة

يوثق الفيلم سلسلة الاكتشافات منذ اللحظات الاولى بروح مصرية خالصة (فيسبوك)

«أسرار مقبرة سقارة»
وثائقي غربي بروح مصرية خالصة

القاهرة ـ **ياسر غريب**

لا يزال الفيلم الوثائقي «أسرار مقبرة سقارة» يحظى بأكبر نسبة مشاهدات داخل مصر، منذ بَدْءِ عرضه على منصة «نتفليكس» في 28 أكتوبر/ تشرين الأوّل الماضي. يحكي الفيلم عن سلسلة من الاكتشافات العظيمة في موقع بوباستيون بمنطقة سقارة قامت بها بعثة مصرية. أبرز تلك الاكتشافات كانت مقبرة بالغة الجمال لكاهن يدعى «واحتي» يعود تاريخها إلى حوالي سنة 2415 قبل الميلاد، في عصر الأسرة الخامسة. يوثق الفيلم سلسلة الاكتشافات منذ اللحظات الأولى بروح مصرية خالصة تمثلت في فريق العمل المكون من أكاديميين ومفتشي آثار وأطباء وعمال مكافحين. المخرج، جيمس توفيل، قال إن عملية تصوير هذا الفيلم المثير امتلأت بالمفاجآت، مشيراً إلى أن العمل مع فريق مصري يتمتع بعلاقة عميقة مع أسلافه جعل المشروع أكثر تميّزاً. أما عالم المصريات الدكتور محمد يوسف، وهو قائد فريق العمل، فقال عن مقبرة واحتي إنها فريدة من نوعها، وإن إيجاد هذه الألوان والنقوش والتماثيل في مقبرة خاصة شيء لم يظهر له مثيل من قبل في كل مصر. لكن ثمة العديد من الألغاز صاحبت عمليات التنقيب هذه، منها ما يتعلق بالنقوش والتماثيل، ومنها ما يتعلق بوفاة أبناء واحتي الأربعة في وقت متقارب، ومنها حالته الصحية التي توفي عليها، وكذلك الحالة الصحية لزوجته وأمه! العمل الذي بدأ في هذا الموقع من 2018 حتى 2019 أسفر عن اكتشاف أكثر من 3100 قطعة أثرية فريدة، من بينها تماثيل وتوابيت وأوانٍ، من بينها: تابوت خشبي يعود تاريخُه من 1186 إلى 1295 قبل الميلاد، وتمثال كلسي لأحد النبلاء الرعامسة من 1213 إلى 1279 قبل الميلاد. وإلى جوار مقبرة واحتي اكتشفت البعثة جبانة للحيوانات بها قطط وتمساح وشبل أسد محنط يعود تاريخها لسنة 600 قبل الميلاد، وهو الأول من نوعه الذي تعثر عليه بعثة أثرية في مصر.

مقبرة واحتي

أما مقبرة واحتي التي تمثل جوهرة العقد في هذا الإنجاز، فقد عُثر عليها على مسافة أقل من كيلومتر واحد من هرم سقارة، وبالرغم من تعدّد البعثات التي قامت بالتنقيب في هذه المنطقة فإن الأيادي لم تستطع من قبل الوصول إلى هذا الكنز. يسرد الفيلم كيف استمرت أعمال الحفر للوصول إلى قرائن ومعلومات تكشف سر هذه المقبرة الجميلة. كان الإعلان الرسمي الأول عن الاكتشاف يحمل العديد من المعلومات الأولية التي تم تصويبها لاحقاً، فالصورة حول هوية المقبرة وصاحبها كانت مشوشة. وكان الشغف بجمال المقبرة ونقوشها البديعة وألوانها الباقية طوال هذه السنين والكنوز التي تحويها قد بلغ مبلغه. ينطلق العمل من حياة المصريين العاديين الذين يعملون في البعثة الأثرية، ومدى علاقتهم بالقدماء المصريين. «أحمد زكري»، مدرس التاريخ السابق وعضو البعثة، يبدو شديد التأثر وهو يتحدث عن واحتي الذي فقد أبناءه الأربعة في حياته، ويرفض أن يتخيل أن يكون مكانه في هذا الموقف العصيب. أما «حمادة منصور» الذي يذهب إلى عمله بالدراجة النارية فيظهر فرحه الغامر لأنه أول شخص يصل إلى هذه المقبرة ويستخرج بيديه بقايا عظام أصحابها. كذلك يتحدث عم «غريب شوشة» عن خبرته التي ورثها عن والده وأجداده في التنقيب عن الآثار وحرصه الشديد أثناء الحفر حتى لا يكسر بمعوله كنزاً أثرياً، وكيف يصطحب غريب ابنه ليأخذ الخبرة العملية في الموقع... وغيرهم. يبرز الفيلم الأزمة التي تعرضت لها البعثة، حين أوشكت مواردها أن تنضب قبل الانتهاء من المهمة، فعشرات العمال الذين يعملون في الموقع مصدر رزقهم الوحيد هو مساعدة البعثات الأثرية في الحفر والتنقيب! فكان لزاماً عليهم لتأمين تمويل الحكومة للموسم المقبل 2019 أن يعثروا على اكتشاف كبير، وهو ما ساعدهم في إكمال المهمة.

باختصار

العمل الذي بدأ في هذا الموقع من 2018 حتى 2019 أسفر عن اكتشاف أكثر من 3100 قطعة أثرية فريدة، من بينها تماثيل وتوابيت وأوانٍ

■■■

المقبرة مكوّنة من صالة مستطيلة يبلغ طولها حوالي 10 أمتار من الشمال للجنوب، وعرضها حوالي 3 أمتار من الشرق للغرب، بارتفاع حوالي 3 أمتار

■■■

بعد دراسة النقوش زعم الأثريون أن واحتي ليس هو صاحب المقبرة الذي شيدها، وأنه استولى عليها

الخدعة الكبرى

ترى من يكون واحتي هذا ليحظى بمقبرة بهذا الحجم؟! للوهلة الأولى ظنّ الباحثون أن المقبرة تعود لشخص نافذٍ في الدولة المصرية القديمة. لقد صنع واحتي لنفسه داخل المقبرة 55 تمثالاً، وهو عدد كبير جداً، كما أن اسمه منقوش بصورة مفرطة على كل ركنٍ وحائطٍ وحجرٍ داخل المقبرة. استغرب الأثريون جداً مِنْ هذه الأمر، لكنهم شيئاً فشيئاً قدموا تفسيراً لعلّه يفك هذا اللغز! بعد دراسة النقوش زعم الأثريون أن واحتي ليس هو صاحب المقبرة الذي شيّدها، وأنه استولى عليها واتخذها لنفسه، وكل ما فعله هو أنه شطب اسم صاحب المقبرة الأصلي ونحت اسمه في كل مكان ليؤكد مليكته لها. وقد عرف الخبراء ذلك من خلال الشطب والتصليحات وإعادة كتابة بعض الكلمات باللغة القديمة لطمس ملكيتها الأصلية. أما صاحبها الأصلي فهو مجهول. ولكن من المحتمل أنها كانت لأخيه الذي قدم واحتي أنشودة إلى روحه دوّنها على أحد جدران المقبرة دون أن يذكر اسمه.

يقول الأثريون لعلّ ذلك يمثل صحوة ضمير متأخرة! وهنا يأتي السؤال: كيف يسرق واحدٌ من المصريين القدماء مقبرة للدفن وهو يعلم أنه سيلقى فيها الحساب والجزاء؟! لأن عقيدة المصريين القدماء تقول إن الميت يبعث ليحاسبه 42 قاضياً على كل صغيرة وكبيرة من أعماله، فإذا كان فاسداً مذنباً سيستحق الفناء، وإن كان بريئاً صالحاً سيكافأ بالخلود. وهنا يشرح العلماء أن واحتي قام بعملية تضليل للآخرة، حيث قام برسم نفسه بين القضاة المرسومين على حائط المقبرة. لقد عين نفسه قاضياً في الآخرة كي يفلت من العقاب، حيث سيكون هو الخصم والحكم في آن معاً!

ردود أفعال

يلقى الفيلم ردود أفعال إيجابية نظراً للروح المصرية الظاهرة فيه، فلأول مرة نشاهد عملاً بروح محلية خالصة بالرغم من إنتاجه الغربي. أيضاً لاحظ المتابعون أنه لأول مرة يخلو فيلم حديث عن الآثار المصري من الدكتور زاهي حواس، حيث رحّب كثير من المتابعين بغيابه عن هذا العمل، إذ وصف بأنه يأتي دائماً ليخاطب المشاهد الغربي باعتباره المستهدف سياحياً. يقول خالد فهمي (مدوّن): «صحيح أن فيلم سقارة إنتاج غربي، وما زال موجهاً لجمهور غربي، لكن أبطاله مش وسطاء ولا سماسرة. أبطاله إحنا المصريين، وجمال الفيلم إنه بيظهر فريق عمل كله مصريين، وما فيهمش خواجات بيض جايين يسترزقوا مننا، أو يعملوا الكارير بتاعهم من لحم كتاف العمال المصريين اللي بيشتغلوا في البعثات بقى لهم أكتر من 100 سنة».

كذلك يُظهر الفيلم المساحة الحقيقية للمسؤولين الرسميين الذين يتصدّرون الإعلان عن الاكتشافات الأثرية مع تجاهل فريق العمل الحقيقي الذي عانى سنوات وشهوراً في البحث والدراسة والحفر والتنقيب والتفسير والتحليل. يكتشف العمال تابوتاً عظيماً، ويقررون فتحه فيستدعون الدكتور مصطفى وزيري المدير العام للآثار ليحضر العمل ويفتحه بنفسه كما هي العادة. غير أن الفيلم يذكر أيضاً في نهاياته وصول المسؤول الكبير ليخبر فريق العمل بأن التمويل الحكومي للبعثة قد انتهى، وأن عليهم أن يقوموا بإخلاء المكان وتنظيفه خلال يومين!! تسود الكآبة وجوه العمال، فالبحث والتنقيب بمصاحبة البعثات هو مصدر رزقهم الوحيد. وبعد أن يبدأ العمال بما أومروا به تحدث مفاجأة جديدة في اللحظات الأخيرة، وفي حضور المسؤول الكبير، إذ يعثرون على بداية كشف جديد سيمكنهم من العمل في موسم المقبل... وهنا يعلو صوت التصفيق والتهاني المتبادلة، ويعودون إلى ترديد أغنيتهم المفضلة أثناء العمل: «على بياعين العنب»!!

وأخيراً

وداعاً فريد رمضان

محمود الرحبي

عن عمر 59 عاما، ترجّل عن صهوة الحياة والكتابة، يوم الجمعة الماضي (6 نوفمبر)، الرّوائي البحريني، فريد رمضان. وإنْ هي إلا لحظات على وفاته الموجعة، حتى ضجّت صفحات منصّات التواصل بعبارة: «وداعا فريد رمضان». ولعلي لن أجد أخفّ من هذه العبارة لتوديعي له بها؛ فهي أرحم بنفسيتي التي هزّها رحيله، وأوجعها أيّما وجع.

على جدار صفحتها، كتبت الكاتبة الكويتية أفراح الهندال، ملخصة، في كلمات زهيدة، حزمة من صفاته وإبداعه: «في اللقاءات هادئ متأمل .. قليل الكلام. وفي الروايات ترك الموت يستفحل بالتفاصيل. كأنه كان يجمعنا لهذا الوداع الحزين. تعازيّ لكل الأحبة والأصدقاء. وداعاً فريد رمضان».

كانت لفريد الذي جمعتني به علاقة طويلة نكهة خاصة وصوت سردي يتميز به. وشكّلت البيئة والتاريخ والإثنوغرافية العُمانية فضاءً وخلفية لعدد من رواياته، ومنها آخر رواياته «المحيط الإنجليزي» (2018) التي تدور أحداثها في مدينة مطرح السّاحلية العريقة. عالج فيها، بطريقة استقصائية، موضوع الهجرة. وهو الموضوع ذاته (الهويات الثقافية) الذي تناوله في أولى رواياته «التنور» (1994) التي أعطاها عنوانا ثانيا يحمل دلالةً على ما أسلفت حول استلهامه من أماكن السلطنة وأجوائها، هو «غيمة لباب البحرين». وكذلك فعل في «البرزخ» (2000). والحق أن موضوع تنوع الهويات والمرجعيات الثقافية في البحرين يثير إشكالات عديدة في بلد يطبع التنوع هوياته الثقافية.

كان فريد يدعو إلى فهم الآخر فهماً «حضاريا»، فلم يعد معقولا بالنسبة إليه أن نواصل «التغنّي» بالقبيلة وبأصالتنا ونقائنا العِرقي، بينما ليس هناك أي حقّ للإنسان العربي في مواطنة كاملة؛ وكأننا خارج التاريخ، ونحنُ في القرن الحادي والعشرين، والعالمُ صار فعلا قريةً صغيرة.

كما كان للسينما والدراما والصحافة الثقافية والمسرح نصيب من اهتمامات فريد رمضان، حيث كتب حوالي 16 فيلماً روائياً. ومن أهم مسرحياته «درب المصل» التي حصلت على الجائزة الأولى في مسابقة التأليف المسرحي لوزارة الإعلام في البحرين (2005). وكتب المسلسل الإذاعي الدرامي (الغلام القتيل .. طرفة بن العبد)، كما ساهم في تحرير مجلة «كلمات» الثقافية الرائدة، إلى جانب إشرافه على الصفحات الثقافية في صحف بحرينية، مثل صحيفة الأيام التي كنت، في التسعينيات، أرسل إليه بعض المساهمات، لينشرها. أحتفظ برسالة طويلة كان قد بعث بها إليّ الراحل، تدلّ على عمق ارتباطه روحياً بالتراب العماني، وشغَفه بكل شبر فيه، فكان طبيعيا أن تكون عُمان مصدرَ إلهام بالنسبة إليه لإبداع مزيد من الرّوايات.

> كان للسينما والدراما والصحافة الثقافية والمسرح نصيب من اهتمامات فريد رمضان، كتب حوالي 16 فيلماً روائياً

ومما في الرسالة: «أدمنتُ عُمان منذ الثمانينيات، أبهرتني، وربما أقول سحرتني. وظللتُ بين مسقط ومطرح والمدن والقرى المحيطة، في رحلات اكتشاف ومتعة. وجاءت رواية «البرزخ» بعد «التنور» بشكل طبيعي. أما في «المحيط» فكانت نتيجة السفر والبحث واكتشاف الأماكن والوثائق والمخطوطات والمقابلات والمتاحف والبيوتات ومكتبة لندن ومكتبة «سواس» في جامعة لندن، وزيارة الأصدقاء الشّعراء والباحثين في عُمان، وإمدادهم لي بالمعلومات الشفهية والمطبوعة والمترجمة». جمعتني بفريد علاقة صداقة منذ التسعينيات، حين كنت أمكث في المنامة خلال الإجازات الجامعية التي أقضيها هناك، قادما من المغرب، وزرته في بيته فيها مرات. بل إني، في كل زيارة للبحرين، وتحديدا في ضيافة صديقي المحامي علي الجبل، كنت أتصل بفريد بالضرورة وألتقيه إن كان موجودا هناك.. حرصٌ لم يكن ليقطعه سوى الموت، وكذلك كان. اتّصف الراحل بأخلاق رفيعة ودماثة ولطف وبساطة عُرف بها البحرينيون، وكانت لدي أبرز مثال. رحم الله فريد رمضان بواسع رحمته، وألهم عائلته الرائعة الصبر والسلوان.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**